الإعجاز البلاغيّ وأثره في تلقي عقيدة الحياة والموت
- سورة البقرة أنموذجاً -

م.د. مازن موفق صديق   م.د. معن توفيق دحام

كلية التربية للبنات– جامعة الموصل

تاريخ تسليم البحث : ٢٠١٠/٣/٢٥ ؛ تاريخ قبول النشر : ٢٠١٠/٦/١٠

ملخص البحث :

إن المتأمل لآيات القرآن الكريم يجد جمالية المفردة في التعبير القرآني ، فيما تهدف إليه إيصال معاني العقيدة والإيمان الى المتلقي ، وتلك رسالة دعوية في منهج القرآن الكريم ومنها القصص القرآني . من هنا جاء عنوان البحث (الإعجاز البلاغي وأثره في تلقي عقيدة الحياة والموت–سورة البقرة أنموذجاً) واشتمل على توطئة وخمسة مباحث . جاء المبحث الأول بعنوان (قصة اتخاذ بني إسرائيل العجل معبوداً) أما المبحث الثاني فكان بعنوان (قصة البقرة) والمبحث الثالث تضمن (قصة الذي حاج إبراهيم ﴿عليه السلام﴾) وفي المبحث الرابع (قصة الرجل الذي مر على قرية) وجاء المبحث الخامس بعنوان (قصة نبي الله إبراهيم ﴿عليه السلام﴾ في مناجاته لربه) .

The Rhetorical Inimitability and its Effect on Receiving Life and Death Belief (Al Baqraa Sura an Example)

Dr. Mazin Mowafaq Sedeeq   Dr. Maan Tawfeew Daham

College of Education for Girls– University of Mousel

Abstract:

The Quranic speech represents one of the aspects of rhetorical inimitability in the glorious Quran. Accordingly, this subject has been chosen. This research is based on studying the narrative aspect of Al Baqrah sura. It is presented in five sections in order that the rhetorical types will be the most outstanding examples in this sura. The titles of the sections are:

Section one: the story of taking calf as a God by Israil.

Section two: Al Baqra story.

Section three: The story of the man who argue with Abraham about his God.

Section four: The story of the man who passes by a village.

Section five: The story of the secret conversation of Abraham with his God.

المقدمة :

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على أفصح الفصحاء وإمام البلغاء سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد ...

فيبقى القرآن الكريم منهل المعرفة والتعلم متجدداً في كل زمان ومكان . ويعجز اللسان عن وصفه ، وتعجز الأقلام عن أدراك معانيه ومجاراة لكلماته قال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ﴾ (سورة لقمان ، من الآية ٢٧) .

من هنا جاء البحث متمثلاً مفهوم (الإعجاز البلاغيّ) إلى بيان وحدانية الله تعالى وتجلي نور العقيدة في حياة الإنسان، من ذلك (الحياة والموت) ؛ فقد برزت في الجانب القصصي في سورة البقرة مع تنوع لغة الحوار والخطاب .

فجاء البحث موسوماً بـ **(الإعجاز البلاغيّ وأثره في تلقي عقيدة الحياة والموت– سورة البقرة أنموذجاً)** واعتمد البحث على توطئة تكشف عن مفهوم مصطلحات العنوان وهي: الإعجاز ، والبلاغة ، والعقيدة ، ثم خمسة مباحث . جاء المبحث الأول بعنوان (قصة اتخاذ بني إسرائيل العجل معبوداً) أما المبحث الثاني فكان بعنوان (قصة البقرة) وتضمن المبحث الثالث (قصة الذي حاج إبراهيم ﴿عليه السلام﴾) وفي المبحث الرابع (قصة الرجل الذي مر على قرية) وجاء المبحث الخامس بعنوان (قصة نبي الله إبراهيم ﴿عليه السلام﴾ في مناجاته لربه) .

وفي الختام نسأل الله تعالى أن يوفقنا لما أردنا إيصاله للمتلقي، ويتجاوز عن نقصنا إنه سميع الدعاء ، والحمد لله ربّ العالمين .

توطئة :

نتناول في هذه التوطئة التعريف بمفاهيم العنوان لغة واصطلاحاً ، وهي تتوزع على ثلاثة مفاهيم رئيسة متمثلة بالآتي :

١. الإعجاز .
٢. البلاغة .
٣. العقيدة .

١. الإعجاز لغة واصطلاحاً :

الإعجاز لغة : إن لفظ (الإعجاز) مأخوذ من الفعل (عجز) فـ"العين والجيم والزاي له أصلان صحيحان ، يدل أحدهما على الضعف ، والآخر على مؤخر الشيء ، فالأول عجز عن الشيء يعجز عجزاً فهو عاجز أي ضعيف ... وأما الأصل الآخر فالعجز مؤخر الشيء والجمع أعجاز حتى أنهم يقولون : عجز الأمر وأعجاز الأمور"[١] .

ومعنى الإعجاز "الفوت والسبق ، يقال : أعجزني أي : فاتني ... ويقال : عجز عن الأمر إذا قصر عنه ... وأعجاز الأمور أواخرها"[٢] .

وبذلك يكون معنى الإعجاز الفوت والسبق والضعف ، وأواخر الشيء ، وقد ورد هذا اللفظ في القرآن الكريم وذلك في قوله تعالى ﴿ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ ﴾ سورة العنكبوت ، من الآية : ٢٢ ، وفي قوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِيٓ ءَايَـٰتِنَا مُعَـٰجِزِينَ ﴾ سورة سبأ ، من الآية : ٥ .

أما الإعجاز اصطلاحاً : يقصد بالإعجاز في المفهوم الاصطلاحي "أن يؤدى المعنى بطريق هو أبلغ من جميع ما عداه من الطرق"[٣] وأما بالنسبة لاختصاص القرآن الكريم به فمعناه "ارتقاؤه في البلاغة إلى أن يخرج عن طوق البشر ويعجزهم عن معارضته"[٤] .

ومن طرق الإعجاز البلاغي – الإعجاز في المعاني والأفكار فضلا عن الإعجاز الرئيس وهو الإعجاز الذي تتجسد فيه الأساليب البلاغية[٥] .

٢. البلاغة لغة واصطلاحا :

البلاغة لغة : مأخوذة من الفعل (بلغ) أي :"بلغ الشيء يبلغ بلوغاً وبلاغاً : وصل وانتهى ، وأبلغه هو إبلاغاً وبلغه تبليغاً ... وتبلغ الشيء : وصل إلى مراده ... والإبلاغ : الإيصال ، وكذلك التبليغ"[٦] .

---

(١) مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس : ٢٣٢/٤ (مادة : عجز) ، وينظر : القاموس المحيط ، الفيروزآبادي : ٦٦٤/١ (مادة : عجز) ، وينظر : المصباح المنير ، الفيومي : ٣٩٣/٢ (مادة : عجز) .

(٢) لسان العرب : ٣٧٠/٥ .

(٣) التعريفات ، علي بن محمد بن علي الجرجاني : ٤٧ .

(٤) الكليات ، الكفوي : ١٤٩/١ .

(٥) ينظر : الإعجاز القصصي في القرآن ، د. سعيد عطية علي مطاع ، ص ٢٥١-٢٥٢ .

(٦) لسان العرب : ٤١٩/٨ (مادة : بلغ) .

وبذلك نجد من خلال التعريف اللغوي بأن معنى البلاغة لغة : الوصول والانتهاء الى الشيء المراد .

أما البلاغة اصطلاحاً : تعرف البلاغة في اصطلاح البلاغيين بأنها : مطابقة الكلام لمقتضى حال الخطاب مع فصاحته ويوصف بها الكلام والمتكلم[١] .

وقد فصل الإمام الزركشي القول في إعجاز القرآن الكريم باعتبار التأليف الخاص به لا مطلق التأليف ، وأن وجه الإعجاز فيه من جهة البلاغة ؛ إذ فيه لفظ حامل ومعنى به قائم ورباط له ناظم وهذا غاية الإعجاز[٢] .

٣. العقيدة لغة واصطلاحاً :

العقيدة لغة : مأخوذة من الفعل (عقد) والعقدُ : "نقيض الحل ، عقده يعقده عقداً وتعقاداً وعقدةً"[٣] . فنجد بأن "العين والقاف والدال أصل واحد يدل على شد وشدة وثوق ... والجمع أعقاد وعقود ... وعقدت الحبل أعقده عقداً وقد انعقد وتلك هي العقدة ... وعاقدته مثل عاهدته"[٤] .

أما العقيدة اصطلاحاً : فهي الأمور التي يجب أن يصدق بها القلب وتطمئن إليها النفس حتى تكون يقيناً ثابتاً لا يمازجها ريب ، ولا يخالطها شك أي : الإيمان الجازم الذي لا يتطرق إليه شك لدى معتقده ، ويجب أن يكون مطابقاً للواقع ، لا يقبل شكاً ولا ظناً ، فإن لم يصل العلم الى درجة اليقين الجازم لا يسمى عقيدة[٥] .

وهناك سمات عامة لمنهج القرآن الكريم في عرض العقيدة ، منها أن العقيدة التي جاء بها القرآن الكريم عقيدة عملية متناسبة مع حياة الإنسان وقدرته ، وكذلك هي عقيدة عامة تناسب جميع المكلفين وتخاطب مختلف المستويات الفكرية والاجتماعية وغيرها ، وفيها سمة الشمولية ، وهذا يكشف عن سمة أخرى ، وهي ارتباط عقيدة القرآن بغيرها من تفاصيل الدين الحنيف أي بالعبادات والمعاملات والسلوك والحكم والعقوبات ، فضلاً عن الأسلوب المقنع وتنوع طرق عرضها في القرآن[٦] .

---

(١) ينظر : عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح ، بهاء الدين السبكي : ٣٤/١ .

(٢) ينظر : البرهان في علوم القرآن : ١٠٥/٢ ، ١١٠-١١١ ، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، مصطفى صادق الرافعي : ١٢٠ ، ١٣٤ .

(٣) لسان العرب : ٢٩٦/٣ [مادة : عقد] .

(٤) مقاييس اللغة : ٨٦/٤ [مادة : عقد] ، وينظر : القاموس المحيط : ٣٨٣/١ [مادة : عقد] .

(٥) ينظر : الوجيز في عقيدة السلف الصالح (أهل السنة والجماعة) ، عبد الله بن عبد الحميد الأثري : ١١/١ .

(٦) ينظر : العقيدة الاسلامية في القرآن الكريم : د. محمد عياش الكبيسي : ٢٩-٣٧ .

ومنه يتبين أثر المنهج القرآني في مجال سلوك الفرد والبناء الاجتماعي "ولا يفوتنا أن نذكر الأثر الكبير الذي نجم عن توحيد مصدر التلقي لدى الأمة ولاسيما مبادئها الأولى ومنطلقاتها الرئيسية ... منحهم هذا وحدة في الجانب الأهم من ميادينهم الفكرية وغيرها"(١) .

وقد عرض القرآن الكريم العقيدة وما يتعلق بها من موضوعات العبادة بأساليب متنوعة(٢) . "وقد عبر القرآن عن العقيدة بالإيمان وعن الشريعة بالعمل الصالح ، وجاء ذلك في كثير من آياته الصريحة ... ومن هنا لم يكن الإسلام عقيدة فقط، ولم تكن مهمته تنظيم العلاقة بين الإنسان وربه فقط ، وإنما كان عقيدة وكان شريعة توجه الإنسان إلى جميع نواحي الخير في الحياة"(٣) ومن هناك يظهر اثر تلقي القرآن عند المخاطب لأن في آياته ما هو قطعي الدلالة لا يحتمل معنيين فأكثر ... وما هو غير قطعي في دلالته محتملاً لمعنيين فأكثر، والصنف الثاني لا يصح أن يتخذ دليلاً على عقيدة ، يحكم على منكرها بأنه كافر(٤) .

وقد تنوعت الموضوعات التي عرضتها سورة البقرة بين العبادات والمعاملات والتشريعات والقيم الأخلاقية إلا أن الذي يدعو الى التمسك بها هو الايمان وتوحيد الله (ﷻ).

ومن القصص التي تدعو إلى وحدانية الله تعالى وقدرته : قصص الحياة والموت فقد شكلت لمحة في القصص الواردة في سورة البقرة لذا كانت موطن الدراسة والتحليل .

المبحث الأول : قصة اتخاذ بني إسرائيل العجل معبوداً

إنّ هذه الدراسة تتناول مفهوم (الإعجاز البلاغيّ) في الخطاب القرآني من خلال سورة البقرة ، فمما يميز هذه السورة الكريمة الجانب القصصي ، وأول هذه القصص التي سنتناولها– قصة (اتخاذ بني إسرائيل العجل معبوداً) ويتجسد مفهوم (الإعجاز البلاغيّ) من خلال تواشج الفنون البلاغية التي لا بدّ من رصدها لمعرفة الأثر الذي تركته في المتلقي ، وهي متمثلة في قوله تعالى ﴿ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ۞ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۞ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۞ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ

(١) المصدر نفسه : ٤٨ .

(٢) ينظر : من بلاغة القرآن ، أحمد أحمد بدوي : ٤٣٠-٤٤٩ .

(٣) الإسلام عقيدة وشريعة ، محمود شلتوت : ٢٣

(٤) المصدر نفسه : ٧٢ .

﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَـٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ سورة البقرة ، الآيات : ٥١-٥٦ .

نجد من خلال معاينة هذه القصة التي تبين عقيدة "الحياة والموت" التي جاءت في سياق الحديث عن بني إسرائيل وجود عدة فنون بلاغية تشكل بمجملها (الإعجاز البلاغيّ) في اطار هذه القصة . وأول هذه الفنون "الإيجاز" وهذا ما نجده في قوله تعالى ﴿ وَإِذْ وَٰعَدْنَا... ﴾ وهو إيجاز بالحذف ، اذ حذف المسند الفعلي "اذكر" أي تقديره (واذكر يا محمد اذ واعدنا...) والإيجاز عند البلاغيين هو "أداء المقصود من الكلام بأقل من عبارات متعارف الأوساط"[(١)] ، ومن خلال هذا الإيجاز تتجلى المنة من الله (تبارك وتعالى) على نبيه موسى ﴿عليه السلام﴾ وكذلك تذكير بني إسرائيل بنعمة الله وعفوه عن جرمهم العظيم بعبادة غيره والمراد بالمواعدة التي جاءت في مستهل القصة أن الله ﴿تعالى﴾ أمر موسى ﴿عليه السلام﴾ أن ينقطع أربعين ليلة لمناجاته وإطلاق الوعد على هذا الأمر تشريف لموسى ﴿عليه السلام﴾ ووعد له بكلام الله [(٢)] ، وقد تكرر الإيجاز في عدة مواضع من هذه القصة وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ ءَاتَيْنَا ، وَإِذْ قَالَ ، وَإِذْ قُلْتُمْ ﴾ . وهذه كلها لقصد الإيجاز البديع ، وتنبيه المتلقي إلى أهمية الأمر الذي استدعى هذا الإيجاز فهي مواطن الذكرى والموعظة . وقد قال عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) عن الإيجاز : "باب دقيق المسلك ، لطيف المأخذ ، عجيب الأمر ، شبيه بالسحر ، فإنك ترى به ترك الذكر ، أفصح من الذكر ، والصمت عن الإفادة ، أزيد من الإفادة ، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق ، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تُبن"[(٣)] .

ومن جماليات الاستعمال القرآني للأدوات –أدوات العطف– أو ما يسمى بتعبير البلاغيين أدوات الوصل – استعمال الأداة (ثم) التي تفيد الترتيب المتراخي وذلك للإشارة إلى ترتيب في درجات عظم هذه الأحوال[(٤)] ، إذ استعمل الخطاب القرآني في هذه القصة الأداة (ثم) في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ عَفَوْنَا ... ﴾ وقوله: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَـٰكُم ... ﴾ وقوله : ﴿ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ... ﴾ ، فقد تكررت ثلاث مرات ودلالتها البلاغية في قوله : ﴿ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم... ﴾ لتراخي مرتبة العفو العظيم عن عظيم جرمهم فروعي في هذا المقام مقام التراخي إن ما تضمنته هذه الجمل عظائم

(١) مفتاح العلوم ، أبو يعقوب السكاكي :٢٧٧ .

(٢) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور: ٤٩٧/١.

(٣) دلائل الاعجاز : ١٠٠.

(٤) ينظر : التحرير والتنوير: ٤٩٩/١.

أمور في الخير وضده تنبيهاً على عظم سعة رحمة الله بهم قبل المعصية وبعدها[١] ، "مما يدل على لطف الخطاب ورقة مستواه ، ويدل على رحمة الربوبية مقابل الأفعال الرذيلة المتوالية"[٢] . ونلحظ بلاغة التكرار في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ إِنَّكُمۡ ظَلَمۡتُمۡ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلۡعِجۡلَ ﴾ إذ تكرر(اتخاذ العجل) في موضعين وقد ذكر السبب في ذلك فقال: ﴿ وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴾ وجاء الترتيب في تقديم السبب وهو ذكر صفة الظلم في قوله : ﴿ إِنَّكُمۡ ظَلَمۡتُمۡ أَنفُسَكُم ﴾ ثم ذكر اتخاذ العجل حسب ما يقتضيه السياق.

ومن الفنون البلاغية التي تم توظيفها في الخطاب القصصي (الترجي) وهو اسلوب إنشائي غير طلبي وأداته المشهورة (لعل) وهذا مانراه في قوله تعالى: ﴿ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ – لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴾ أما قوله: ﴿ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ...﴾ فقد وردت في موضعين والمعنى البلاغي الذي خرج إليه الترجي هو "رجاء لحصول شكركم ، وعدل عن لام التعليل إيماء إلى أن شكركم مع ذلك أمر يتطرقه احتمال التخلف فذكر الرجاء دون حرف التعليل"[٣] وهذا من بديع لغة التعبير القرآني ، ومن بديع النظم فن الإطناب ايضا لبيان رجاء الداعي في تلقي المدعو الدعوة لذلك أطنب فيه. ونجد جمالية التوازن اللفظي في نسج وبناء القصة الموضوعية في السياق تمثل في قوله (تبارك وتعالى) : ﴿ ثُمَّ عَفَوۡنَا عَنكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾ ثم ختم بقوله : ﴿ ثُمَّ بَعَثۡنَٰكُم مِّنۢ بَعۡدِ مَوۡتِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾ ، ذلك الإيقاع الذي يحدثه التعبير القرآني لإثارة حس المتلقي وترسيخ المعاني ، فمرة بعد العفو والمنة من الله ﴿ﷻ﴾ ومرة بعد البعث وكلاهما نعمة تستدعي الشكر .

ونجد في إطار هذه القصة بروزاً للأساليب الإنشائية الطلبية التي تصور عقيدة (الحياة والموت) وبخاصة أسلوبي (النداء والأمر) إذ نجد النداء في قوله ﴿ﷻ﴾ : ﴿ يَٰقَوۡمِ ﴾ والأداة المستعملة هي (يا) وهي "حرف من حروف التنبيه ... فتكون تارة لنداء القريب وتارة لنداء الوسط والبعيد ... وحقها في الأصل أن تكون للبعيد لجواز مد الصوت بالألف ما شئت"[٤] . أما بالنسبة للمنادى فهم قوم موسى (بنو إسرائيل) وكذلك نجد النداء ، في قوله: ﴿ وَإِذۡ قُلۡتُمۡ

---

(١) ينظر : التحرير والتنوير : ١/٥٠١ .

(٢) دراسات فنية في القرآن الكريم، د.أحمد ياسوف: ٤٥٧.

(٣) التحرير والتنوير: ١/٥٠١ .

(١) رصف المباني في شرح حروف المعاني ، أحمد بن عبد النور المالقي : ٥١٢ .

﴿ يَـٰمُوسَىٰ ﴾ نداء القوم لموسى (عليه السلام) إذ تجسد أسلوب الحوار من خلال أسلوب النداء ، والنداء يعمل على تفعيل الحوار بين الداعي (موسى) والمدعوين (بنو إسرائيل) وصولاً الى الرسالة الندائية .

ومن أساليب الإنشاء الطلبي التي جاءت في معرض القصة القرآنية (أسلوب الأمر) مرة في قوله تعالى: ﴿ فَتُوبُوٓاْ ... ﴾ ومرة في قوله : ﴿ فَٱقۡتُلُوٓاْ ... ﴾ وقد جاء أسلوب الأمر في كلا الموضعين بصيغة فعل الأمر وغرضهما المجازي في سياق الخطاب القصصي (النصح والإرشاد) وهو يناسب سياق السورة والقصة وعملية تلقي الدعوة . وفي السياق نفسه اشتمل الخطاب القصصي على أسلوب (الإطناب) ، و"اعلم أن الإطناب واد من أودية البلاغة ، ولا يرد إلا في الكلام المؤتلف ، ولا يختص بالمفردات ، لأنَّ معناه لا يجعل إلا في الأمور المركبة"[1] . وهو في اصطلاح البلاغيين "زيادة اللفظ على المعنى لفائدة جديدة من غير ترديد"[2] ، ودلالته في هذه القصة لغرض التوصيف والبيان من أجل إقامة الحجة على المكلفين من بني إسرائيل ، وهو فن يغلب على الآيات القرآنية عموماً ، وهو متحقق في قوله تعالى: "من بعد" التي تكررت ثلاث مرات ، ولهذا التكرار أثره في شد انتباه المتلقي ، ونجد بعد ذلك على مستوى البناء القصصي أنَّ شخوص القصة تنحصر في شخصيتين هما موسى(عليه السلام) بوصفه نبياً مرسلاً من الله (سبحانه وتعالى) وبنو إسرائيل ، القوم المرسل إليهم ، ورسالته هي الدعوة إلى عبادة الله (عز وجل) ، أما بالنسبة للأحداث فهي تبدأ بالحدث الرئيسي وهو اتخاذ بني إسرائيل (العجل) معبوداً لهم أثناء غياب الداعية والنبي موسى (عليه السلام) أربعين ليلة لمناجاة ربه ، وبعد ذلك عفو الله عنهم وتربيتهم وكذلك جحودهم لنعمة الله التي أنعمها عليهم وهي (العفو) وهذا واضح في طلبهم من الداعية رؤية الله (سبحانه وتعالى) وبعدها عقوبة الله لهم بأخذهم بالصاعقة ، وهذا الحدث يمثل الطرف الأول من عقيدة الحياة والموت أي (الموت) بعد ذلك يأتي الطرف الثاني وهو (الحياة) من خلال بعثهم بعد الموت وهذا متجسد في قوله: ﴿ ثُمَّ بَعَثۡنَـٰكُم مِّنۢ بَعۡدِ مَوۡتِكُمۡ ... ﴾ .

لقد تمثلت محاور الخطاب القرآني ضمن هذه القصة في ترسيخ مفاهيم العقيدة عند المتلقي من خلال ما يأتي :

١. المنة والفضل من الله تعالى على عباده (بعثه بني إسرائيل) إقراراً لوحدانيته وقدرته على كل شيء .

---

(٢) الطراز، العلوي :١٢٣/٢.

(٣) المصدر نفسه :١٢٣/٢.

٢. الثواب والعقاب بين قوله: ﴿ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم ﴾ وقوله: ﴿ فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ ﴾ .

٣. إقرار طاعة الخلق للخالق لأنَّ أعظم النعم هي الهداية ودوام شكر المنعم على نعمه ظاهرة وباطنة .

المبحث الثاني: قصة البقرة

نتناول في هذا المبحث ثاني القصص وهي (قصة البقرة) التي حملت عنوان السورة بأكملها، وهي تعالج أيضا عقيدة (الحياة والموت) وذلك في قوله (تبارك وتعالى) : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُواْ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ۞ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُواْ مَا تُؤْمَرُونَ ۞ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّـٰظِرِينَ ۞ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَـٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ۞ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُواْ ٱلْـَٔـٰنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ ۞ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَْٰٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ۞ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ سورة البقرة ، الآيات : ٦٧-٧٣ .

لقد اتخذت هذه القصة الوصف الجدلي سبيلاً لوصف الحقائق والوقائع ، إذ نجد أن وصف الخطاب لبقرة قوم موسى ﴿عليه السلام﴾ جاء عن طريق الجدل الذي دار بين موسى ﴿عليه السلام﴾ وقومه ، وهناك قصد آخر من هذا الخطاب القصصي تمثل في بيان حقيقة نفوس قوم موسى ﴿عليه السلام﴾ بما يتصفون به من العنت والعناد وسوء الأدب ، وهو متمثل في الجدل(١)، الذي تم تصويره في مشاهد قصصية ، إنَّ استعمال الخطاب القرآني للأسلوب القصصي جاء لأغراض ومقاصد منها لأنَّه "مما تألفه النفس الإنسانية ، لما فيه من متعة السرد وجمال الإيقاع ، ولأنَّه لا يقوم على التجريد التقريري"(٢) ، وإنما يرسم المعاني بشكل محسوس مشاهد قريب أشد القرب من المتلقي ، و نجد كذلك "إن القصة القرآنية في جوهرها – تعد أسلوباً تربوياً يعتمد على

---

(١) ينظر: الوصف في القرآن، د.موسى سلوم: ٨٥.

(٢) مستويات السرد الإعجازي في القصة القرآنية،د.شارف مزاري:١١.

التحسيس ، والإثارة والتشويق ، وهي مظاهر محمولة على المنظومة التبليغية في كل منزع تربوي ، فضلاً عن أنها تتحلى بمواصفات المرونة والقابلية والاستدعاء"[١] ، ونجد عند معاينة خطاب قصة البقرة لمعرفة أثر الإعجاز البلاغيَّ في تلقي العقيدة بروز موضوع (الحياة والموت) واعتماده على مجموعة فنون بلاغية أولها – فن الإيجاز الذي نجده في قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ** ... ﴾ وفي قوله (ﷻ) :﴿ **وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَٰٔتُمْ فِيهَا** ﴾ ، إذ حذف الخطاب القرآني المسند الفعلي (الامر) من باب الايجاز التقديري فتكون (إذ) ظرف زمان مفعولاً فيه والتقدير : "أي واذكروا يا بني اسرائل إذ قتلتهم نفساً أي اذكروا وقت قتل هذه النفس"[٢] . وهذا الفن يتكرر في ختام القصة وبناؤه لا يختلف عن الأول متمثلا في قوله : ﴿ **وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا** ﴾ ، وكان حقه أن يكون أولاً لأن سبب الطلب في ذبح البقرة هو لمعرفة القاتل إذ ما جرى من خطاب وتكليف هو من أجل قوله: ﴿ **وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا** ﴾ فهو وإن كان متأخراً في الترتيب الحدثي إلا إنه هو نواة الحدث وهذا وجه من وجوه السرد القصصي في التعبير القرآني . إنَّ لهذا الحذف على مستوى الخطاب الدعوي بلاغة وأثراً في التلقي لأنه يدعو إلى إثارة المتلقي ويبعث روح التساؤل عن المحذوف . وتتواشج مع فن الإيجاز – فنون أخرى – تعمق الدلالة القرآنية ، ومنها فن التكرار وهو ظاهرة واضحة في قصة البقرة "وهو أبلغ من التأكيد ، وهو من محاسن الفصاحة"[٣] وهو وجه من وجوه البلاغة وعندما ينطق به الخطاب القرآني يصور فيه المعاني ويضفي عليها الحركة المستمرة التي بدورها تعمل على تحقيق مسألتي الإفهام والتوكيد[٤] ، "وثمة أشكال متعددة للتكرار ، وهذه الأشكال لا تقوم بوظيفة واحدة ، وإنما تقوم بوظائف متعددة ، ومن هذه الوظائف ما يتصل بالإيقاع وما يتصل بالوصف وما يتصل بالتأكيد"[٥] ، وعلى هذا يتوزع فن التكرار بين المفردات والتراكيب فمن المفردات المكررة (إذ) فقد تكررت مرتين لبيان زمان الحدث ، وفي المفردات كذلك نجد تكرار مفردة (بقرة) خمس مرات ، أربع منها جاءت بصيغة التنكير وواحدة معرفة بأل ، ويعود السبب في هذا التنكير ، وهو أسلوب بلاغي، إلا أن الله (ﷻ) عندما طلب من بني إسرائيل ذبح بقرة لم يرد بقرة خاصة ذات خواص محددة وإنما أراد

---

(٣) المصدر نفسه : ١١ .

(١) حاشية الجمل على الجلالين المسماة بالفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية ، سليمان بن عمر : ٦٦/١ .

(١) الإتقان في علوم القرآن، السيوطي: ١٠٦/٢-١٠٧.

(٢) ينظر: خطرات في اللغة القرآنية، د.فاخر الياسري: ١٤٩.

(٣) النص القرآني من الجملة إلى العالم، وليد منير: ٤٤.

أن تكون بقرة فقط ، فقصد العموم أي عموم الجنس وليس خواصه ولكن المجادلة وعدم الامتثال من بني إسرائيل لنبيهم والاستخفاف بالشريعة كل ذلك جعلهم يسألون أسئلة كثيرة عن البقرة المراد ذبحها وبخاصة ماهيتها الشكلية فهم غير مأمورين بصفة مقيدة لأنهم كلفوا في الخطاب بذبح بقرة ، ولم يذكر من صفاتها أن تكون صفراء فاقعة ولا غير ذلك[١] . وكان سبب هذا الطلب أنَّ بني إسرائيل أصبحوا يوماً على قتيل بين أظهرهم فتبادلوا فيه الاتهام والتنصل وهذا واضح في قوله : ﴿ فَٱدَّٰرَٰٔتُمۡ فِيهَا ﴾ ، أي نفس القتيل ، وقد اشتبه عليهم أمر القاتل ، ولم تكن القسامة قد نزلت عليهم وهي أن يقول القتيل –بعد إحيائه– دمي عند فلان عندئذٍ سألوا موسى ﴿الطَّيْلا﴾ أن يبين لهم ذلك فجاء الجواب وهو من بديع الخطاب القصصي بتأخير السبب : ﴿ وَإِذۡ قَتَلۡتُمۡ نَفۡسٗا فَٱدَّٰرَٰٔتُمۡ فِيهَاۖ ﴾ وتقديم المسبب : ﴿ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗۖ ﴾ وأصل الفعل (ادارأتم) "(تدارأتم) ، ثم قلبت التاء دالاً فأدغمت في الدال الثانية فيه دلالة السرعة واختصار الحدث ، والملحوظ أن هذا الإدغام يوحي بشدة التدافع والتخاصم ، وبلصوق الجسوم وتباعدها ، وحب دفع التهمة من الداخل واقتلاع الشكوك والمخاوف"[٢] فعندما نقل موسى ﴿الطَّيْلا﴾ لهم أمر الله بذبح هذه البقرة ظنوه يسخر منهم فلما أصرّ جعلوا يراجعونه ويطلبون صفتها ثم لونها حتى انتهوا إلى طلب تعيينها بعينها بدلالة قوله تعالى : ﴿ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفۡعَلُونَ ﴾ وكان حكم الله أن يضربوا القتيل ببعض لحمها فأحيا الله ذلك القتيل فسمى من قتله ، فكانت تلك آية من آيات الله التي يؤيد بها أنبياءه ، ويكشف بها لعبادهِ عن قدرته في الإحياء والإماتة[٣] ، ولهذا تبين "أن أمرهم بهاته الصفات كلها هو تشريع طارئ قصد منه تأديبهم على سؤالهم ، فإن كان سؤالهم للمطل والتنصل فطلب تلك الصفات المشقة عليهم تأديب على سوء الخلق والتذرع للعصيان ، وإن كان سؤالاً ناشئاً عن ظنهم أن الاهتمام بهاته البقرة يقتضي أن يراد منها صفات نادرة كما هو ظاهر... فتكليفهم بهاته الصفات العسير وجودها مجتمعة تأديب علمي على سوء فهمهم في التشريع كما يؤدب طالب العلم إذا سأل سؤالاً لا يليق برتبته في العلم"[٤] .

(٤) ينظر التحرير والتنوير: ٥٥٣/١.

(٥) دراسات فنية في القرآن الكريم: ٣٠٠.

(٣) ينظر: البيان في روائع القرآن، د. تمام حسان: ٤٠٤/٢.

(٤) التحرير والتنوير: ٥٥١/١.

ومن أشكال التكرار التي جاءت في هذا السياق – تكرار التراكيب– وهذا ما نجده في قوله (تبارك وتعالى) : ﴿ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا ﴾ ، فقد تكررت هذه العبارة ثلاث مرات .

وإن هذا التكرار التركيبي فيه إيقاع جدلي يكشف عن معنى التهاون في الاستجابة للطاعة تمثل في الجرس اللفظي المتكرر . وهو من بديع لغة التصوير في التعبير القرآني "لا يتقيد أو يلتزم طريقاً واحداً في التعبير ، بل يلجأ إلى التفنن في إخراج القول في عرض شائق وأسلوب مثير ، وقوة في البيان يتوخاها تعبير القرآن قصد التدقيق في المعنى، وإبراز معالم الجمال ، وتحريك النفس لتعي ما تسمع وتدرك ما يقال"[١] ومن خلال هذا التكرار تتجسد لنا عدة دلالات : منها إن هذا التكرار النمطي هو بيان لحال بني إسرائيل في كثرة السؤال بغير فائدة أو حكمة ؛ لان جناية القتل أكبر من أي سؤال ، ومنها أيضاً شدة الإلحاح من بني إسرائيل على نبيهم موسى ﴿عليه السلام﴾ وإثقاله بالدعوة ، وربما قصد منه التعجيز أو الاستخفاف بالشريعة ، إلا أن رد موسى ﴿عليه السلام﴾ وصبره عليهم أدى في المحصلة النهائية الى امتثال هؤلاء القوم مع عدم رغبتهم الحقيقية في تحقيق الامتثال والطاعة ، لذلك كشف هذا التكرار التركيبي عن سعة التحمل عند الأنبياء والرسل ومنهم موسى ﴿عليه السلام﴾ في إبلاغ حكم الله والرفق بالخلق بحسن الاستماع إليهم ، وأنَّ هذا التكرار البارز في قصة البقرة يؤكد إقامة الحجة على المعرضين والمنكرين إلى يوم القيامة ، لذا ختمت القصة بذكر صفة التعقل والتدبر بقوله : ﴿ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾ فالعبرة بيان أن الأحكام والتكاليف محورها العقل ولا يدرك حكمها وأسرارها إلا العقلاء من الناس ، وكذلك كشف هذا التكرار عن خلجات القوم في مجادلة موسى ﴿عليه السلام﴾ .

ومن التكرارات الأخرى تكرار الفعل (قال) الذي يحمل زمن المضي ، إذ تكرر خمس مرات وهو يناسب جو القصة لأنها تعتمد على سرد أحداث ماضية ، فضلاً عن كونه يشكل لغة الحوار بين الداعية والمدعوين . وما غاية الحوار القرآني إلا رد العقل إلى التفكير المنظم الهادئ ، وبيان فساد موقف الخصم[٢] ، وهو عنصر أساسي في لغة القصص ، يرسم الشخصيات ويبيّن أدوارها وقيامها بالحدث ، ونحن عندما نذكر هذه المفاهيم الخاصة بالقصة ليس على اعتبار القرآن الكريم كتاب قصص فـ"القرآن ليس كتاب قصص وإنما هو كتاب دعوة وتشريع ، فإذا جاء بالقصة فإنما يأتي بها في إطار الدعوة إلى الإيمان بالله ، وللإشارة إلى وحدة الدعوة على الرغم من تعدد الأنبياء واختلاف الأزمنة والأمكنة والأقوام ، وعلى رغم تطور التكاليف من

(١) خطرات في اللغة القرآنية: ١٧٣.

(٢) ينظر: البيان في روائع القرآن: ٢٧٥/٢.

دعوة إلى أخرى حتى اكتملت بالدعوة الإسلامية"[1] ، ولكن نقل لنا القرآن الكريم العقيدة في لغة الحوار القصصي.

ومن الأساليب التي شكلت خطاب قصة البقرة ضمن عقيدة (الحياة والموت) –أسلوب التوكيد– الذي يعدٌّ أسلوباً خبرياً ، إذ أُكد الخطاب القصصي القرآني ضمن قصة البقرة بعدة توكيدات للخبر ، أُكد بـ (إنَّ) وذلك في قوله (تبارك وتعالى) : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ ﴾ لتأكيد الأمر بذبح البقرة ، ونوعه باعتبار القاء الخبر وحال المخاطب ، (طلبي) في حين أُكد في موضع آخر بـ (إنَّا) أي (إنَّ + نا) متصلاً بضمير (نا) مع اللام المزحلقة وذلك في قوله (ﷻ) ﴿ وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهۡتَدُونَ ﴾ وأكد بـ (إنَّه) أي : (إنَّ+الهاء) في ثلاثة مواضع وذلك في قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ يَقُولُ ﴾ وأُكد بـ (إنَّها) أي : (إن+الهاء) المؤنثة وقد تكررت أيضاً في ثلاثة مواضع في قوله تعالى : ﴿ إِنَّهَا بَقَرَةٌ ﴾ ، ونجد من خلال هذه التوكيدات أن أغلبها جاءت متصلة بضمير سواء أكان (الهاء) أم (نا) إذ يوظف الضمير في التركيب القرآني لمقاصد ابلاغية فالضمير (الهاء) يعود على لفظ الجلالة المتقدم وذلك في قوله تعالى﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ ﴾ وهو متصل بـ(إنَّ) في قوله : ﴿ إِنَّهُۥ ﴾ ومجيء التركيب القرآني على هذه الصورة في الجمع بين الضمير ومرجعه يؤدي الى الإيجاز ويعمل على تنشيط المتلقي في معرفة مرجع الضمير فمرجع الضمير هو لفظ الجلالة (الله) فالسياق بعدها عدل في توجيه موسى (عليه السلام) لبني إسرائيل إلى جمالية العدول عن الاسم الظاهر إلى المضمر في قوله ﴿ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ ﴾ في ثلاثة مواضع ، ففي ذلك دلالة السرعة في الإبلاغ وتعليم المكلف(الامتثال والطاعة) . أما بالنسبة لاستعمال أداة التوكيد (إن) متصلاً معها (نا) بوصفه ضميراً فإنه يجري مجرى القسم في الاستعمال وذلك واضح في قوله تعالى: ﴿ فَقُلۡنَا ٱضۡرِبُوهُ بِبَعۡضِهَا ﴾ فالضمير (الهاء) في (بعضها) لا يعود إلى أقرب مذكور وهو (نفساً) وإنما يعود إلى البقرة، إذ يتطلب إرجاع الضمير قدراً من شحذ الذاكرة وبخاصة أن القتيل كان (نفساً) بلفظ مفرد يتفق إفراداً وتأنيثاً مع الضمير في (بعضها) غير أن الفعل (اضربوه) أضفى على النفس المقتولة من التذكير ما يحول بينها وبين أن تكون مرجعاً في (بعضها) . وبذا يعود الضمير إلى البقرة ويكون المعنى: فقلنا اضربوا القتيل ببعض البقرة المذبوحة[2] . ووجود حرف الفاء في قوله: ﴿ فَقُلۡنَا ﴾ دلالة السرعة مرة اخرى يناسبه ذكر

---

(١) المصدر نفسه: ٢/٣٥٣.

(١) ينظر: البيان في روائع القرآن: ٢/٣٧.

الضمائر لإقرار عقيدة (الحياة والموت) وإظهار الحق . وقد جاء الفعل (قتلتم) مسنداً الى ضمير الجمع والقاتل واحد فهذا من باب اطلاق المفرد على المثنى والجمع وبالعكس ويعد التفاتاً فعلياً إذ انتقل من المفرد إلى صيغة الجمع .

ومن بديع النظم القرآني في هذا الخطاب القصصي أيضاً اسلوب الاستفهام في مطلع القصة وذلك متمثل في قوله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوٗاۖ ﴾ إذ استفهم بالحرف (الهمزة) "وقصد منه الحقيقة لذا فهو استفهام حقيقي لظنهم أنَّ الأمر بذبح بقرة للاستبراء من دم قتيل كاللعب وتتخذنا بمعنى تجعلنا"[١] . ومن بديع لغة التنزيل العدول في طريق الخطاب رداً لجوابهم فقد (قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوٗاۖ) تمثل في فاصلة الاية بذكر صفة الجهل دون صفة الاستهزاء فلم يقل مثلا : من المستهزئين فجاء التعبير القراني بقوله : ﴿ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ ،وذلك لأن الجاهل مستهزئ وخلق الأنبياء والمرسلين التعليم والإبلاغ تعريضاً بسوء قولهم . وأن أسوأ صفات الجاهلين هي الاستهزاء وعدم الطاعة . ونجد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : (ما هي- ما لونها- ما هي) . إذ استعمل الخطاب اسم الاستفهام (ما) في ثلاثة مواضع ، ففي الأولى : "حكى سؤالهم بما يدل عليه السؤال بما في كلام العرب وهو السؤال عن الصفة لأنَّ (ما) يسأل بها عن الصفة" وفي الثانية "سألوا بما عن ماهية اللون وجنسه لأنه ثاني شيء تتعلق به أغراض الراغبين في الحيوان"[٢]. ومما يطالعنا به التعبير القرآني جمالية التناسق الاستفهامي في القصة القرآنية فقد ورد على الترتيب الآتي : (ما هي؟ ما لونها؟ ما هي؟) كله على سبيل الحقيقة لا مجاز فيه ، وفي هذا التتابع نجد "سؤالاً عاماً عن البقرة، ثم سؤالاً خاصاً عن لونها ، ثم عودة إلى سؤال عام عنها ، هذا التكرار فيه دلالة واضحة على لجاجة بني إسرائيل وتلكئهم فيما يطلب منهم من أوامر ونواه وتكاليف"[٣] .

ومن أساليب الإنشاء الطلبي أيضاً – أسلوب الأمر- وذلك في قوله تعالى : ﴿ فَٱفۡعَلُواْ – ٱدۡعُ – ٱضۡرِبُوهُ ﴾ ، فدلالة الفعل (ادع) الدعاء إذ "يحتمل أن يراد منه الدعاء الذي هو طلب بخضوع وحرص على إجابة المطلوب فيكون في الكلام رغبتهم في حصول البيان لتحصيل

---

(٢) التحرير والتنوير: ٥٤٧/١.

(١) التحرير والتنوير : ٥٤٩/١، ٥٥٣.

(٢) التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم ، د. عبد العظيم ابراهيم : ٦٧/١ .

المنفعة المرجوة من ذبح بقرة مستوفية للصفات المطلوبة"[١] وقد جاء هذا الفعل بصيغة فعل الأمر وكذلك الفعل (افعلوا – واضربوه) .

ومن الفنون البلاغية التي أثرت الإعجاز البلاغيّ في قصة البقرة – فن الاستعارة– وهو احد فنون علم البيان ونجده ماثلاً في قوله ﴿ﷻ﴾ : ﴿ قَالُواْ ٱلْـَٔـٰنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ﴾ . نجد من جمالية الخطاب العدول عن قوله : "قالوا الآن جاء الحق" وعبروا عنه بقوله تعالى : ﴿ قَالُواْ ٱلْـَٔـٰنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ﴾ هذا يكشف عن الشك الذي كان في صدورهم من أقوال موسى ﴿عليه السلام﴾ لهم فكأنه الآن جئت وليس قبل ، ويمكننا أن نتلمس تحديد أركان هذه الاستعارة بالآتي :

المستعار له (الحق) .

المستعار منه محذوف تقديره : (شيء) .

القرينة: الفعل (جئت).

الجامع: حصول المنفعة وتحقق الأمر .

إنَّ لفظ (الحق) أمر معنوي لا يمكن له أن يقوم بفعل المجيء فالحق لم يات بل جيء به،فقد شبه الحق بشئ محسوس مادي يمكن ان يؤتى به، وحذف المشبه به ودل عليه لازمه (جئت) فهي استعارة مكنية في لفظ (الحق)، و هذا يرسم لنا صورة فنية رائعة ومشهداً حركياً لأمر معنوي ، والحق المراد منه الحق الواضح وإلا فإنه قد جاءهم بالحق ابتداء[٢] .

وفي إطار علم البديع يطالعنا فن من فنونه ذو تشكيل معنوي وهو فن (الطباق) ونوعه (طباق خفي) وذلك ما نجده في قوله تعالى : ﴿ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ ﴾ فالمسند الفعلي (فذبحوها) يحيلنا على الطرف الأول من الطباق الخفي على تقدير (فذبحوها ، فعلوا) أو (رغبوا في الفعل) في حين نجد الطرف الثاني مقدراً في قوله : ﴿ وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ ﴾ على تقدير : (لم يرغبوا بالفعل) ودلالة هذا الصراع الضدي على مستوى الخطاب يؤكد عدم الرغبة في الامتثال لشرع الله وللرسالة التي يحملها النبيُّ وفي ذلك دلالة على "استثقال لاستقصائهم، واستبطان لهم، وأنهم لتطويلهم المفرط وكثرة استكشافهم ما كادوا يذبحونها ، وما كانت تنتهي سؤالاتهم ، وما كاد ينقطع خيط إسهابهم فيها ، وتعميقهم"[٣] .

---

(٣) التحرير والتنوير : ٥٤٨/١.

(١) ينظر: الجملة العربية والمعنى ، د. فاضل صالح السامرائي : ٦١ .

(٢) الكشاف ، الزمخشري: ٨٢.

ومن جماليات صور التقابل بين تناوب الجملة الاسمية والجملة الفعلية في باب المسند والمسند إليه قوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗۖ ... ﴾ وبين قوله : ﴿ وَٱللَّهُ مُخۡرِجٞ مَّا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ﴾ أن المسند ورد مرة فعلاً مضارعاً (يأمركم) وورد مرة أخرى اسم فاعلٍ في قوله : (مخرج) . وهنا يتناسب مع كل حدث ، فالتكاليف والأوامر من الله تعالى متجددة مع تجدد حياة الناس وأما الحق فهو ثابت ظاهر وإن امتد زمن الظلم والطغيان لذا عبر عنه بالجملة الاسمية ، وبعد ذلك نريد أن نبيِّن موطن العقيدة بشكله العام فيما يأتي :

١. الأمر من الله (سبحانه وتعالى) وتسليم المخاطب وطاعته .
٢. الصبر على جدال بني إسرائيل وتبليغهم .
٣. قدرة الإحياء بعد زوال الحياة وإثبات الحق ورد المظالم .

ومن مواطن العقيدة أيضا ولكن بشكلها التفصيلي ما يأتي :

١. إبراز جانب الولاء والطاعة في حياة الأنبياء والمرسلين وتبليغهم أقوامهم .
٢. أبرز الخطاب القرآني في قصة موسى ﴿عليه السلام﴾ وبني إسرائيل حب الأنبياء والمرسلين لأقوامهم وتمادي الأقوام في عدم الاستجابة والامتثال .
٣. تأييد الله سبحانه وتعالى الحق وإظهاره وإن كان السبب مما لا يتصوره الإنسان وهو جزء من البقرة المذبوحة ، دلالة على قدرة الله ﴿عز وجل﴾ وحده.
٤. قدرة الإحياء بعد زوال الحياة في مشهد تعاينه الناس بغية إقامة الحجة على المنكرين.

المبحث الثالث : قصة الذي حاج إبراهيم ﴿عليه السلام﴾

من جمالية لغة التعبير القرآني تأكيد عقيدة (الحياة والموت) في تنوع الأحداث وبأسلوب يثير المتلقي ، ويحرك أحاسيسه إلى تلقي نور العقيدة ، ومنه الجانب القصصي لإقامة الحجة على المنكرين الجاحدين، ومنهم الذي حاج نبي الله إبراهيم ﴿عليه السلام﴾ الذي عرضه القرآن الكريم دون التصريح باسمه ، فقال تعالى : ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ سورة البقرة، الآية : ٢٥٨ .

إذ يطالعنا اسلوب الاستفهام المجازي بقوله : ﴿ أَلَمۡ تَرَ ...﴾ والمراد التعجيب فهو "تعجب من محاججة النمرود وحماقته"[١] ، وسر الافتتاح بالاستفهام دون غيره ، أن جمالية الاستفهام تحرك أحاسيس المخاطب إلى استحضار الصورة واستعداد المتلقي لتصور مشهد الأحداث بفاعلية التلقي ، قال القرطبي: "فهو كله تعليم من الله ﷻ السؤال والجواب والمجادلة في الدين لأنه لا يظهر الفرق بين الحق والباطل الا بظهور حجة الحق ودحض حجة الباطل"[٢] .

ومن جمالية التعبير القرآني في دلالة المعنى قوله : ﴿ أَلَمۡ تَرَ ...﴾ و "الرؤية هنا رؤية علمية ومعنى (الم تر) ألم تعلم اذ نزلت الرؤية العلمية منزلة الرؤية البصرية من قبيل تشبيه المعنوي بالحسي لقوة ظهور الحسيات أكثر من المعنويات ليتوصل من هذا التشبيه إلى إثبات تلك القصة وإظهارها لغرابتها"[٣] وتمثل الإعجاز البلاغيّ في أمرين : الأول : إثبات عقيدة (الحياة والموت) وقد تمثلت في بلاغة الاسلوب الخبري الابتدائي بقوله : ﴿ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ ﴾ ، مع استشعار الفعل المضارع المتجدد مع مشاهد الحياة ، أما الثاني نجده في الصراع الضدي الذي بين لفظي (يحيي ويميت) إذ تمثل الطرف الأول للطباق في قوله : ﴿ يُحۡيِۦ ﴾ في حين تجسد الطرف الثاني في قوله : ﴿ وَيُمِيتُ ﴾ .

ومن لطائف التعبير بلاغة اسوب القصر فلم يقل مثلا : (يحيي ويميت ربي) ، "والفرق كبير فقوله : "ربي الذي يحيي ويميت" يفيد أنه لامحي ولا مميت إلا الله ، ولو قيل : يحيي ويميت ربي لكان المعنى أن الله قادر على الإحياء والإماتة ولا مانع ان يقدر عليهما غيره"[٤]. فجاء الجواب متمثلاً في بلاغة تقديم المسند إليه الاسمي على المسند الفعلي ومثله قوله : ﴿ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ ﴾ تعبيراً عن قدرته وغروره فيما زعم انه يغير الأحداث من الحياة إلى الموت والقدرة على الإماتة باعتبار إرادته وقوته الذاتية ، لذا تقدم المسند إليه الاسمي ، وغفل عن قصد إبراهيم ﴿عليه السلام﴾ في دعوته إلى وحدانية الله تعالى المتمثلة في قوله: (ربي) الذي لا يعتريه التغير ولا تقلب الأزمان بخلاف الإنسان فهو مخلوق وربه الخالق .

---

(١) أنوار التنزيل واسرار التأويل: ١٣٦/١.

(٢) الجامع لأحكام القرآن: ٤٣٤/١.

(٣) التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم : ١٤٢/١،وهناك قول انها رؤية بصرية بمعنى كانها تقع الان فيراها المخاطب . ينظر المصدر نفسه :١٤٣/١.

(١) التحرير والتنوير : ٣٣/٣ ، وينظر : البلاغة فنونها وأفنانها وعلم المعاني : ٢٠٨.

ومن جمالية السياق بلاغة الإدماج تمهيداً إلى ذكر البعث والنشور تمثل "في تقديم الاستدلال بخلق الحياة إدماج لاثبات البعث لأن الذي حاج ابراهيم كان من عبدة الأصنام فهم ينكرون البعث ... ففي الإحياء والإماتة دلالة على أنهما من فاعل غير البشر فالله هو الذي يحيي ويميت"(١) .

الثاني : انتقال الخطاب القرآني في المحاججة من الاستدلال على وحدانية الله تعالى وقدرته على الإحياء والإماتة إلى الاستدلال الكوني في الخلق دون مجادلة النمرود في زعمه، فجاء الاسلوب الخبري مؤكداً بـ(إن) مع إظهار لفظ الجلالة فكل ذلك أدعى إلى تقوية الحجة في الخطاب القرآني ، وتمثل في قوله : ﴿ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ ﴾ .

ثالثاً : إثبات أن الكون وما فيه خاضع لله تعالى ، ومسخر بأمره وحده فقد جاء بالمسند الفعلي الذي يفيد التجدد والاستمرار مع تقديم المسند الاسمي وتكمن دائرة الخطاب في تثبيت العقيدة بأسلوب الأمر (فأت بها) المراد منه التعجيز ، وهنا نقف عند أثر الخطاب البلاغي في ترسيخ العقيدة وقدرة الله (ﷻ) على تسخير الكون وقدرته تعالى على الإيجاد والإنعام .

وجاء الخطاب القرآني تقريراً لحقيقة قوله : ﴿ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ ﴾ ثم ختمت القصة القرآنية بقوله : ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ ، بجمالية الأسلوب الخبري الابتدائي بتقديم المسند إليه الاسمي (والله) لأنه أوقع في نفوس المخاطب تقريراً لسوء الصفات وهي الظلم لأن أشد أنواع الظلم هو ظلم الإنسان نفسه مع خالقه والمعنى "أي لا يلهمهم الحجة والبيان في مقام المناظرة والبرهان بخلاف أوليائه المتقين"(٢)، وفيه بيان لفضيلة الإيمان والتوحيد . ومن بديع التعبير "إيثار ذكر إبراهيم باسمه الظاهر في الموضع الثاني والثالث وطي اسم الذي حاج للتنويه برفعة شأن إبراهيم عليه السلام واحتقار الذي كفر"(٣).

وتتجسد محاور العقيدة من خلال المحاججة بالآتي:

١. وحدانية الله تعالى تتجلى في دعوة الأنبياء والمرسلين للمنكرين بالاستدلال والمناظرة.
٢. إقرار سبيل الطاعة والولاء لأنهما من علامات الإيمان ، أما الإعراض والجحود فهما سبيل الطرف الآخر الجاحد لنعم الله.
٣. إثبات أن الكون وما فيه خاضع لله تعالى ومسخر بأمره وحده.

---

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٣٣/٣.

(١) صفوة التفاسير: ١٣٦/١.

(٢) التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم : ١٤٣/١.

المبحث الرابع : قصة الرجل الذي مر على قرية

ومن القصص الأخرى في سورة البقرة التي جسدت (الحياة والموت) قصة الرجل الذي مرَّ على قرية وتبدأ القصة بقوله ﴿ﷻ﴾:﴿ أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَـٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

إذن القصة هي مرور أحد الصالحين بقرية خاوية على عروشها ، وهو (عزير) الذي أماته الله مائة عام ثم بعثه بعد ذلك ، نجد أن القصة بدأت بمرور هذا العبد الصالح بالقرية الخاوية على عروشها متسائلاً مع نفسه ، فالشخصية تحاور نفسها عن الكيفية التي يحيي بها الله تعالى هذه القرية بعد موتها وفنائها ، ثم إماتته وإحياؤه (أي المتسائل) ليشاهد ذلك وبعد ذلك اتخاذه آية للناس[١] . وقد حملت القصة بين دفتيها عدة فنون بلاغية شكلت أبعاد القصة ، إذ نجد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : ﴿ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَـٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ ﴾ السؤال بـ (أنى) فقد حقق الاستفهام بقوله : (أنى) معنى الاستبعاد المشوب بالتعجب والحيرة[٢] مما يعني "الاستحالة لعظم الأمر وارتقائه فوق المستوى البشري والقانون الإنساني الذي لا يدرك كنه الأمور الغيبية ويتعسر عليه فهمها واستجلاؤها مادامت في علم الله"[٣] ، والشيء المستفهم عنه هو أمر عظيم فالنظرة السطحية إلى الأشياء لا يمكن الاعتداد بها مع قدرة الله (سبحانه وتعالى) فالرجل نظر إلى هذه القرية الخاوية فلم يتوقع على وفق هذه الرؤية الكيفية التي بها ترجع هذه القرية بعد موتها هذا الموت الحسي "فاستبعد أن يعيدها الله وأهلها للحياة فأماته الله مائة عام، ومعنى هذا أنه ذاق الموت وعانى حقيقته ، وهذا هو "حق اليقين"[٤] . فبين الله ﴿ﷻ﴾ قدرته وجبروته المنفرد بهذه القدرة بدلالة قوله ﴿ﷻ﴾ : ﴿ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ ... ﴾ إلى آخر الآية فعلم بعد سؤاله هذا قدرة الله على الإحياء العظيم الخاص به ،

(١) ينظر: الوصف في القرآن: ٦٠.

(٢) ينظر: التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم : ١٤٥/١.

(٣) الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية ، محمود السيد حسن مصطفى: ٢٥٨ .

(٤) القرآن والنظر العقلي، فاطمة اسماعيل: ٩٣-٩٤.

بوصفه الخالق وبعد ذلك تبع هذا الدليل أي (الإماتة) سؤال الخالق له بعد (الإحياء) وذلك في قوله ﴿ كَمْ لَبِثْتَ ﴾ فجاء جوابه ﴿ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ وبعد هذا الجواب يبين الله بأنه لبث مئة عام ، وقدم له الأدلة على ذلك إذ الطعام والشراب لم يتأثرا بالظروف المناخية ولا الظروف الأخرى عموماً ، إذ توقفت الأعراض ، إنها القدرة الربانية ثم سياق الآية على فقدان (الحمار) اللحم فأصبح عظاماً فقط دون الرجل فقال تعالى : ﴿ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ﴾ وقد جاء هذا الدليل بأسلوبي الأمر والاستفهام في قوله : (انظر/ وكيف) وقد اقترنت الأدلة بضمير الجمع (نحن) المستتر دلالة على تعظيم الله (ﷻ) نفسه في بيان هذه القدرة ، وذكر الطعام والشراب والحمار والعظام تعد براهين حسية لإثبات حقيقة الإحياء والإماتة ، وهذا يدخل أيضاً في موضوع الوصف إلا أنه (استدلال بالحدث) ، "فالحدث هو فعل وقع في زمن ما ، فردياً كان ذلك الفعل أو جماعياً"(١) ، ونلحظ التنسيق اللفظي في الخطاب القرآني في التكرار الذي تمثل في قوله تعالى : ﴿ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ ﴾ وقوله: ﴿ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ ﴾ وقوله : ﴿ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ ﴾ فهو يحدث نوعاً من الإيقاع في تنبيه المتلقي إلى إدراك الحقائق وتتبع الأحداث .

ومن محاسن ختام القصة القرآنية بعد البيان والإقرار حسن ختام الآية بقوله : ﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ؛ فقد تنوعت مفاهيم الخطاب القرآني في تلقي العقيدة مع تنوع المشاهد بين البعث بعد الموت ، والنظر إلى الطعام والشراب دون تأثير مع سرعة تغيره وفساده والنظر إلى العظام كيف تحيا وتكسا لحماً .

المبحث الخامس : قصة نبي الله إبراهيم (عليه السلام) في مناجاته لربه

نتناول في هذا المبحث آخر القصص في هذا البحث وهي قصة (نبي الله إبراهيم (عليه السلام) في مناجاته لربه) وذلك واضح في قوله (تبارك وتعالى) ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ .

---

(١) الوصف في القرآن: ٥٩.

ومن بديع القصة الموضوعية ورود قصة الذي حاج إبراهيم في ربه ، وجاء بعدها قصة الرجل الذي مر على قرية ثم أتبعه بقصة إبراهيم (عليه السلام) فـ "هذه الآيات الثلاث تتناول موضوعاً واحداً في جملته : سر الحياة والموت وحقيقة الحياة والموت وهي بهذا تؤلف جانباً من جوانب التصور الإسلامي يضاف إلى القواعد التي قررتها الآيات السابقة منذ مطلع هذا الجزء"(١) .

فقد جاء الخطاب القرآني على لسان إبراهيم (عليه السلام) وتمثل في أسلوب النداء ونوعه نداء الإيجاز إذ حذف حرف النداء (يا) التقدير (يا ربِ) مع تواشج أسلوب الاستفهام في قوله تعالى ﴿ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ من هنا يبدأ الحدث وتبدأ القصة القرآنية في تجسيد معالم العقيدة وبؤرتها الحياة والموت ، ويأتي أسلوب الاستفهام في جواب سؤال إبراهيم (عليه السلام) المترتب على سؤاله بأسلوب الاستفهام أيضا وهو تناظر جميل تمثل بقوله ﴿ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ﴾ فجاء الجواب بقوله ﴿ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ﴾ . ومن بلاغة التعبير القرآني طريق الجواب بـ (بلى) دون (نعم) لأن نفي النفي إثبات والتقدير بلى آمنت بخلاف (نعم) فهي لإثبات المنفي "ليزيد سكوناً وطمأنينة بمضامة علم الضرورة علم الاستدلال وتظاهر الأدلة أسكن للقلوب"(٢) . ونجد التجربة والبرهان مع الخليل عليه السلام تمثلت بأسلوب الأمر أمر الله تعالى ﴿ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ ﴾ هذه المرحلة الأولى ، ثم قال تعالى ﴿ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ﴾ أي "أملهن من الصور أي الميل ، وقيل قطعهن صوته صوت" (٣) ثم جاء البيان القرآني للتمهيد بان القدرة على (الإحياء والإماتة) مختصة بالله (عز وجل) وحده أي إحياء الميت وبث الروح فيه فقال ﴿ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ﴾ وما عليك الا الدعوة لأجزاء ، اللحم الموزعة على أطراف الجبال ، والتي لا يتصور منها حياة ولا حركة ، ومن بديع النظم في الإعجاز البلاغي جمالية أسلوب الأمر بقوله ﴿ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ﴾ فقد ذكر كل جبل ليدل على أنه أمر بجعل كل جزء من أجزاء الطير على جبل ؛ لأن وضعها على الجبال أبلغ في تفريق تلك الأجزاء فإنها فرقت بالفصل من أجسادها وبوضعها في أمكنة متباعدة وعسرة التناول ثم جاء التعبير القرآني بقوله ﴿ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ﴾ دون قوله ، طيراناً أو طيوراً أما قوله : (سعياً) فهو أبلغ في الإعجاز والقدرة الإلهية التي تدل على أن الحياة دبت في قطع اللحم المنتشرة على كل جبل "والسعي من أنواع المشي لا من أنواع الطيران ، فجعل ذلك آية على

---

(٢) في ظلال القرآن ، سيد قطب : ١/٤٣٤ .

(١) الكشاف : ١/٢٧٥ .

(٢) المفردات في غريب القرآن ، الراغب الاصفهاني : ٢٩٠ .

أنهن أعيدت إليهن حياة مخالفة للحياة السابقة لئلا يظن أنهن لم يمتن تماماً"[1] . وما ذلك إلا لبيان ما سألت وطلبت ، تقريراً لقوله تعالى : ﴿ وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ .

قائمة المصادر والمراجع :

١. الاتقان في علوم القرآن ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ) ، قدم له وعلق عليه : محمد شريف بكر ، راجعه : مصطفى القصاص ، دار احياء العلوم، بيروت ، مكتبة المعارف ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م .

٢. الاسلام عقيدة وشريعة ، محمود شلتوت ، دار القلم ، القاهرة ، ط٢ ، (د.ت) .

٣. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، تاليف مصطفى صادق الرافعي ، تحقيق : عبد الله المنشاوي ، مكتبة الايمان-القاهرة ، ط١ ، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م .

٤. الإعجاز القصصي في القرآن ، د. سعيد عطية علي مطاع ، دار الآفاق العربية ، ط١ ، ٢٠٠٦م .

٥. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين البيضاوي (ت ٧٩١هـ) ، دار الكتب العلمية، لبنان ، ط١ ، ١٩٨٨م .

٦. البرهان في علوم القرآن ، بدر الدين الزركشي (ت ٧٩٤هـ) ، قدم له : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت-لبنان ، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م .

٧. البلاغة ، فنونها وأفنانها – علم المعاني ، د. فضل حسن عباس ، دار الفرحان ، عمان-الأردن ، ط٢ ، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م .

٨. البيان في روائع القرآن ، د. تمام حسان ، عالم الكتب ، ٢٠٠٢م .

٩. التعريفات ، علي بن محمد بن علي الجرجاني ، تحقيق : إبراهيم الابياري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٥هـ .

١٠. التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم ، د. عبد العظيم ابراهيم المطعني ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط٢ ، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م .

١١. تفسير التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن عاشور (ت١٩٧٢م) ، دار سحنون ، تونس ، (د.ط) ، (د.ت)

١٢. الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (ت ٦٧١هـ) ، دار الكاتب العربي ، القاهرة ، ١٩٩٧م .

---

(٣) التحرير والتنوير : ٤٠/٣ .

١٣. الجملة العربية والمعنى ، د. فاضل صالح السامرائي ، دار ابن حزم ، بيروت–لبنان ، ط١ ، ١٤٢١هـ–٢٠٠٠م .

١٤. حاشية الجمل على الجلالين المسماة بالفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية ، سليمان بن عمر ، مع تفسير الجلالين المذكور (وأيضاً إملاء ما من به الرحمن من وجوه الأعراب والقراءات من جميع القرآن ، محب الدين أبي البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري رحمه الله) يليه تعليقات الشيخ عبد الرحمن الجزيري ، مطبعة مصطفى محمد ، المكتبة التجارية الكبرى بمصر ، ١٣٥٢هـ/١٩٣٣م .

١٥. خطرات في اللغة القرآنية ، د. فاخر الياسري ، دار الشؤون الثقافية العامة ، العراق–بغداد ، ٢٠٠٨م .

١٦. دراسات فنية في القرآن الكريم ، د. أحمد ياسوف ، دار المكتبي ، سورية–دمشق ، ط١ ، ١٤٢٧هـ–٢٠٠٦م .

١٧. دلائل الإعجاز ، عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (ت ٤٧١هـ) ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت–لبنان ، ط١ ، ١٤٢٢هـ–٢٠٠١م .

١٨. رصف المباني في شرح حروف المعاني ، أحمد بن عبد النور المالقي (ت٧٠٢هـ) ، دار القلم–دمشق ، ط٣ ، ١٤٢٣هـ–٢٠٠٢م ، تحقيق د. أحمد محمد الخراط .

١٩. صفوة التفاسير ، محمد علي الصابوني ، دار احياء التراث ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٢٥هـ–٢٠٠٤م .

٢٠. الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، يحيى بن حمزة بن علي بن ابراهيم العلوي اليمني، تحقيق : د. عبد الحميد هنداوي ، المكتبة العصرية ، صيدا–بيروت ، ط١، ١٤٢٣هـ–٢٠٠٢م .

٢١. العقيدة الاسلامية في القرآن الكريم ، د. محمد عياش الكبيسي ، مطبعة حسام ، بغداد ، ط١ ، ١٩٩٥م .

٢٢. في ظلال القرآن ، سيد قطب (ت١٩٦٦م) ، دار إحياء التراث ، بيروت ، لبنان ، ط٧ ، ١٩٧١م .

٢٣. القاموس المحيط ، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، د.ط ، د.ت .

٢٤. القرآن والنظر العقلي ، فاطمة اسماعيل ، المعهد العالمي للفكر الاسلامي ، هيرندن ، فرجينيا ، الولايات المتحدة الامريكية ، ١٤٠١هـ–١٩٨١م .

٢٥. الكشاف عن حقائق التنزيل عيون الأقاويل في وجوه التأويل ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (٤٦٧-٥٣٨هـ)، اعتنى به وخرج أحاديثه وعلق عليه: خليل مأمون شيحا ، دار المعرفة ، بيروت-لبنان ، ط١ ، ١٤٢٣-٢٠٠٢م .
٢٦. الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية) ، أبو البقاء الكفوي ، تحقيق : عدنان درويش ومحمد المصري ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م .
٢٧. لسان العرب ، محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري (ت٧١١هـ) ، دار صادر ، بيروت ، ط١ ، د.ت .
٢٨. مستويات السرد الاعجازي في القصة القرآنية ، د. شارف ميزاري ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ٢٠٠١م .
٢٩. المصباح المنير، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي ، المكتبة العلمية ، بيروت ، د.ط، د.ت .
٣٠. مفتاح العلوم ، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي (ت ٦٢٦هـ) ، ضبطه وشرحه : نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت-لبنان ، ط١ ، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م .
٣١. المفردات في غريب القرآن ، للراغب الاصفهاني (ت ٥٠٢هـ) ، تحقيق : محمد سيد كيلاني ، دار النهضة ، بيروت-لبنان (د.ت) .
٣٢. مقاييس اللغة ، أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، دار الجيل ، بيروت-لبنان ، ط٢ ، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م .
٣٣. من بلاغة القرآن ، أحمد أحمد بدوي ، دار النهضة ، القاهرة ، (د.ط) ، (د.ت) .
٣٤. النص القرآني من الجملة الى العالم ، وليد منير ، المعهد العالمي للفكر الاسلامي ، القاهرة ، ط١ ، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م .
٣٥. الوجيز في عقيدة السلف الصالح (أهل السنة والجماعة) ، عبد الله بن عبد الحميد الأثري ، مراجعة وتقديم : صالح بن عبد العزيز آل الشيخ ، وزارة الشؤون الاسلامية والاوقاف والدعوة ، المملكة العربية السعودية ، ط١ ، ١٤٢٢هـ .
٣٦. الوصف في القرآن الكريم ، د. موسى سلوم عباس ، دار الكتب العلمية ، بيروت-لبنان ، ط١ ، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م .